ارتباطهما بسر الزواج المقدس حيث تمتزج هذه الصفات المتنوعة في نفس واحدة وروح واحدة وهنا منتهى الكمال الذي يمكن أن يصل اليه الرجل أو المرأة ؟

هنري بادير

الرجل والمرأة

(بقلم حضرة حنين افندي بادير)

من العبث ان يتولى الانسان بنفسه بحثاً يدل دلالة واضحة على مقدار تعسته وخيلائه الكاذب . واني أعدّ نفسي قبل كل كاتب تناولَ هذا الموضوع محباً للنفس ولوعاً للتغرير بها فخوراً بما ليس لي فيه فضل

أليس تناول البحث في هذا الموضوع دليلاً على ان الانسان ما زال حافظاً لمبدأ الاستبداد القديم متمسكاً بأهدابه بما ملأ به داخل مملكته العائلية . فأما وقد ولجه غيري فاني آتي بكلماتي هذه دفعاً لرأي لا اسميه سوى فرية على المرأة .

على انهُ من الصعب ان يقرر الانسان افضلية الرجل على المرأة وبالعكس لاننا اذا نظرنا بعين الحقيقة نرى ان لا أفضلية هناك بينهما كما ان لكل منهما وهو داخل دائرة عمله التي وضعه داخلها المولى ميزة على الآخر — وما اشبه نزاعنا اليوم بنزاع قام بين صانعي القبعات في امريكا . فانه في عصر الرئيس «لنكولن» صُنعت قبعتان من أدق واجمل ما تصل اليه يد الانسان . فلما احضرتا اليه ورأى جمالهما اقر بحسن صنعهما ولكن لكي لا يعطي للواحدة ميزة على الاخرى قال لصاحبيهما « ان قبعتاكما تفوق كل منهما الاخرى » . هكذا حالنا . فالرجل في دائرة عمله يفوق المرأة . والمرأة في عملها ايضاً تفوق الرجل

ولكي لا تقوم اختلافات في نفس المتزوجين الذين يُدفعون اليها طبعاً بعامل الغرور وحب الظهور آتي هنا على جميع الاختلافات وانما ارجو القراء ان يعتبروا معي اولاً هذه الحقيقة البديهية — ان ليس لاحدهما وجه تفضيل على الاخر وانهما

جزء من هيكل واحد يتمان حلقة دائرة واحدة . توجد مواقف يظهر فيها الرجل أضعف من المرأة ومواضع اخرى تكون فيها المرأة اضعف من الرجل ولكن لا بد لنا من التقرير هنا قبل الخوض في عباب هـذا البحث الواسع ان كفتي الميزان متعادلتان تماماً

اما وقد تنحصر مواضع النزاع في نقطتين — القوى العقلية والقوى البدنية فلذا آتي على شرح كل منهما واستميح القارىء عذراً ان يستمر معي الى النهاية فالموضوع لا يخلو من فائدة علمية وبحث لذيذ

المخ . ان مركز العقل هو المخ ولذا أرى من الضروري جداً ان نأتي على الحقائق الطبية فيما يتعلق بالقوى العقلية حتى يكون جدالنا منطقياً ومحصوراً داخل نقط محدودة

قلت ان المخ هو الذي يولد قوة العقل فيرسلها الى العضو المقصود فيعمل هذا على اخراجها الى دائرة العمل فلا بد اذاً من ان نذكر شيئاً عن تركيب المخ الفسيولوجي ومن ثم الى كيفية انتقال الفكر و بعد ذلك نحكم ان كان هناك اي فرق

ان المخ هو أحد الاركان الهامة التي يقام عليها الهيكل الانساني وهناك مستودع السيال الفكري الذي يسري في البدن . وعقل الطفل أرق بكثير وألين وتظهر اجزاؤه في جمال بساطة تركيبها ومن هنا تنشأ قابلية عقل الطفل لكل الأصلاحات التي تدخل عليه بسهولة اكثر من عقل الراشد . ويشبه المخ في تركيبه بيطارية كهربائية وما تحتوي عليه من الاحماض والمعادن والاسلاك والاوعية . فهناك النور والصوت والحركة والشم والذوق والحرارة . فباجتماع هذه الجواهر والجهازات تنشأ عنها قوة الكهرباء . وخلايات المخ تابعة للنظام الفسيولوجي الاّ انها تختلف نوعاً في الشكل حيث لها فروع بواسطتها تتصل الخلايات بعضها من جهة وترتبط بكل اجزاء الجسم من جهة ثانية بواسطة الاعصاب

وهذه الخلايات ذات لون سنجابي اما الاعصاب فبيضاء ومادة المخ هلامية سنجابية تمر بها خيوط بيضاء وتلك المادة السنجابية تتجمع كمرجات يظهر معها المخ

بشكل موج متجعد وهذه الاعصاب تخرج منها وتتشعب في كل جهة من اجزائها

ويغطى المخ ثلاث طبقات من الانسجة الخلوية ثم طبقة عظمية تسمى الجمجمة ويكسوها الجلد فالشعر . والطبقة التي تأتي مباشرة بعد الجمجمة بيضاء مرنة كالاربطة التي تلصق العضلات بالعظام . والنسيج الثاني يتكون من خيوط دقيقة جداً اشبه ببيت العنكبوت وتسمى الغشاء العنكبوتي . والثالث عبارة عن شبكة مكونة من اوعية شعرية واوردة وشرايين واعصاب وخيوط دقيقة وهي داخلة في المخ تحمل اليه الدم مملوءً بالمواد اللازمة لادارة حركة هذه البطارية . وتتجمع الاعصاب الى رُبَطٍ تتفرع في جميع اجزاء الجسم كفروع الشجرة في تقسيمها ففرع يذهب الى العين وآخر الى الأذن وآخر الى الفم . وعدد عظيم ينحدر وسط السلسلة الفقرية حيث يوجد بها اثنتان وستون فتحة ليمر بها واحد وثلاثون زوجاً من هذه الاعصاب فتأخذ طريقها نحو الذراعين والفخذين والمعدة والكبد والعضلات والغدد والعظام وتختلط بالاوعية الشعرية ويصغر حجمها وتصير دقيقة جداً . وكل خيط ابيض منها عبارة عن أنبوبة صغيرة مملوءة بسائل شفاف وبواسطة هذا السائل تنتقل القوى العصبية . والمخ مع ما يتحد به من الاعصاب المارة في العمود الفقري وما يتفرع منه يسمى المجموع العصبي او المخية الشوكية . فخلايات المخ تولد قوة الكهرباء وتعرف بالقوى العصبية . كما ان الخلايات التي في المخ تتولد وتنمو ثم تموت مثل باقي الاعضاء . وقد قرر احد الالمانيين المولعين بالاحصائيات ان الانسان يعدم في الدقيقة ٣٤٥٠٠ خلية وفي الحال تستعاض بعدد مماثل لها وان المخ بتلك القاعدة يتجدد بأكمله مرة كل ستين يوماً

وظائف الاعصاب . تقوم الاعصاب بنقل القوى فتحمل من الخارج النور والحرارة والصوت وبها ينتبه الفكر للعمل وبها يترجم عن الجوع والعطش والرغبات والآمال والمقاصد

انتقال الفكر . ان الافكار تتولد في المخ فتملأه وتؤثر على الخلايات فتتولد

فيها سيالاً عصبياً يسرع كالبرق الى آخر العضب وينقل معه الفكرة الى الغدد او العضل او العظم كما يقتضي الحال . وهناك يصادف خلايات اوغدداً او عضلات او عظاماً اخرى فيدب فيها قوة العمل ويتحرك العضو اطاعة للفكر

فاذا رأى ولد مثلاً ارنباً ففي الحال تحرك العين في المخ هذا القول « سأمسك بهذا الارنب » فيحدث ضغط على الخلايـات أشبه بضغط عدة التلغراف فتنقل الاشارة بسرعة لا تقدَّر في مجرى السلسلة الفقرية الى القدم . فتتولد فيها الحركة بكيفية ليس هذا مجال ايضاحها . ومن هنا يظهر لنا ان الاعصاب نوعان احدهما ينقل الفكرة من الخارج الى الداخل والآخر ينقلها من الداخل الى الخارج . وهذان النوعان يسيران بجوار بعضهما داخل غشاء واحد

فاذا اضفنا الى ذلك ان قوة الفكر تظهر تأثيراتها على العضو الخاص بها (فالعين مثلاً تدمع عند سماع خبر محزن) وعلمنا ان كل غدد عرضة لتأثيرات فكر مخصوص أمكننا ان نصل الى حقيقة تقرر بلا نزاع : ان كل مخ في الوجود يمكنه ان يصل الى درجة معلومة من القوة اذا توفرت لديه السبل الموصلة لذلك ـ اللهمّ الا اذا طرأت عليه عوارض خارجية . والحقيقة التي لا مرآء فيها هي ان تركيب المخ الفسيولوجي مثل اي عضو اخر ينمو بالتمرين وأن العمل يولد فيه القوة فلا معنى اذاً لهذا الادعاء بأن مخ المرأة اصغر من مخ الرجل

التركيب الفيسيولوجي . ان الاولاد ـ ذكوراً واناثاً ـ ينشأون في البيت الواحد ومن اب وام واحدين ويتناولون طعاماً واحداً ويستنشقون الهواء الواحد ومع كل ذلك نرى خلافاً واضحاً في تركيب جسدهم . وذلك لان عوامل الحياة والقوى الحيوية التي تخترق خلايات وانابيب البدن تختلف الواحدة عن الاخرى

الأختلاف التركيبي . ان قامة المرأة على العموم اقصر من الرجل بجزء من اثني عشر . ووزنها يقل بمقدار جزء من ستة اجزاء . وجمجمة المرأة اصغر في الحجم وجبينها عادة اقل اتساعاً وزقبتها طويلة ولينة ورقيقة كذا كتفا الرجل اعرض منها .

ولكن كتفيها مزسلان الى الوراء وهذا مما يجعل صدرها متسعاً وترقوتها اقصر ولذلك لا تصيب تماماً عند القاء حجر الى اية مسافة وردفها اكبر وبطنها اعرض

اهم موضع للاختلافات الفسيولوجية هو التجويف الحوضي العظمي فهو عند الرجل يستعين به فقط على القوة والحركة ولكن له وظيفة اخرى عند المرأة اذ هو كما سماه برداك بمعمل النسل . وهذا التغيير البين يجعل المرأة المهد الاول الذي يتربى فيه الطفل قبل ان يخرج الى عالم الوجود

خص الله المرأة بهذا التركيب حتى تقدر على حمل الطفل وحمايته من التأثيرات . وبينما المرأة قد نالت قسطها الوافر من التركيب الفسيولوجي الذي تحتاج اليه للقيام بوظيفتها قد أُعطي الرجل قوة العضل لكي يذود عنها ويحميها . فهي تحمي الطفل داخل احشائها وهو يحميها . فلماذا اذاً ايها الرجل تفاخر بقوة عضلك عليها ؟ ! ؟ طنوف جسدها[1] لا تنتهي بزوايا كالرجل ولكنها واضحة وعظامها ليست بارزة ولكن مفاصلها امتن . سعة معدتها اقل لكن حجم كبدها اكبر من الرجل . كمية ما تأكله من الطعام اقل من الرجل ولكنها تتناوله بشهية اقوى . وقد تلاحظ من احصائيات المستشفيات والملاجئ والسجون ان عدد اكلات المرأة تقل عن الرجل بالخمس كما ان الشراهة خاصة بالرجل . قلب المرأة اصغر حجماً من قلب الرجل ولكن الدورة الدموية عندها اسرع ودمها كثيف . نسيجها الخلوي اكثر غزارة وشحمها اوفر واشد نصاعة . جلدها بض واملس تقريباً ولكن حيث يوجد الشعر يكون غزيراً طويلاً ناعماً . وكثرة النوم ضرورية للمرأة لكن نومها لا يكون عميقاً عادة وانما هادئاً . صوت المرأة اضعف ولكنه ارق واشجى واشد وقعاً على الاذن . وما عندها من قوة التعبير والفصاحة تدل على ما امتازت به من الشعور السامي . فهي قوية المشاعر رقيقتها الامر الذي يقوم مقام الاستنتاج عند الرجل . قوة التأثير عندها سريعة كقوة الارادة عند الرجل . درجة الحرارة عندها اقل وهذا بديهي لان الرجل يتحرك كثيراً وعمله يولد فيه تلك الحرارة

(١) البارز منه

جسمها اكثر عرضة للتأثيرات الجوية كذا التأثيرات البدنية — كالنمو والضعف — تلاحظ جلياً ان سن البلوغ عند الرجل ابطأ من المرأة وذلك لان تركيبه القوي يستلزم غذاء اكثر من المرأة التي كثيراً ما تصل سن البلوغ قبل اوانها

الاختلاف النفسي . المرأة تنكر ذاتها والرجل يغالي في حب ذاته كما انه اقل منها جلداً وهي أقل منه عضلاً . فالمرأة تعيش لنفع نوعها البشري اقل مما تعيش لنفع ذاتها . والوظائف التي اختصت بها للنسل البشري كالحبل والولادة والرضاعة وغيرها تثبت جلياً حبها الشديد لنسلها وتفانيها في انكار ذاتها اذ تتحمل كل ألم ومشقة سعياً وراء راحة ولدها

* * *

هذه هي جميع الاختلافات البدنية عند الرجل والمرأة . فهل يمكن للذين يدعون بأفضليتهم على المرأة ان يوضحوا ذلك اللهم الاّ انهم يتيهون اعجاباً بقوتهم و بطشهم و ينسون ان المرأة تفوقهم بصبرها وجلدها وقد قال الدكتور شبرد كما ان الرجل جندي ماهر كذلك المرأة مربية وممرضة نشطة

وبما ان قضية ادعائهم بأن عقلهم ارقى من المرأة قد ظهر بطلانها اذ انه يكفي لعقل المرأة إن يفلّح حتى يصل الى درجة الرجل واننا لنراه كذلك في الممالك التي ينشأ فيها النوعان معاً كما ان امتيازه بقوة عضله لا يكسبه اية افضلية اذا ذكرنا تركيبها المختص بالنسل بقي وجه واحد لهؤلاء القوم وهو ان يقولوا بان تفضيلهم من باب المجاز كما نقول مثلاً العسل احلى من الخل اي ان قوة ذاك في الحلاوة اكثر من هذا في الحموضة . ولكن هذا ايضاً واضح البطلان لان العمل الذي يقوم به الواحد لا يقل ولا يفوق اهمية على الآخر

الختام . بقيت كلمتي الختامية لحضرة المفضّل على الجنس اللطيف — قبل ان تأخذ عنوان مقالي سلاحاً ضدي اقول اني لم اقدّم الرجل على المرأة الاّ لسببين الاول مراعاة الترتيب الوحوذي والثاني العادة الشرقية والاجاز لنا ان نقول ايضاً — المرأة والرجل